حكايات قبل النوم
(٣)

أَتَعَجَّبُ مِنْ رضا أُمِّي بِكَ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حيلةٌ ناجحة!!

قال أبو يَحيىٰ بن مكرم ، القاضي البغداديّ ، حدّثني أبي قال :

كان في جِواري رجلٌ يُعرفُ بأبي عُبيدةَ ، حسنُ الأدب ، كثيرُ الروايةِ للأخبارِ.. وكان قديماً يُنادمُ إسحاقَ بن إبراهيمَ المصبَعي ، فحدَّثَني : أن إسحاق استدعاه ذاتَ ليلةٍ في نِصفِ الليلِ .

قال : فهالَني ذلك ، وأَفْزَعني ، لِما كنتُ أعرفُه منه ، من شَراسَةِ الأخلاق ، وشِدَّةِ الإسراعِ إلىٰ القتلِ ، وخِفْتُ أن يكونَ قد نَقَمَ عليّ شيئاً في العشرة ، أو بُلِّغَ عنّي باطلاً ، فأُحْفِظَه ، فيسرع إلىٰ قَتْلي ، قبل كَشْفِ حالي..

فخـرجْـتُ طـائـرَ العقـلِ ، حتـىٰ أتيـتُ دارَه ، فأدْخِلْتُ إلىٰ بعضِ دُورِ الحرم - إلىٰ مكانِ النساء - فاشتدَّ جَزَعي ، وذهبَ عليَّ أمري...

فانتهي بي إليه ، وهو في حُجرةٍ لطيفةٍ ، فسمعتُ في دَهْليزِها بكاءَ امرأةٍ ونَحيْبَها!

.. ودخلتُ فإذا هو جالسٌ علىٰ كرسي ، وبيدِهِ سيفٌ مسلول ، وهو مُطْرِقٌ ، فأيقنتُ بالقتل .

فسلّمتُ ، ووقفتُ ، فرفَعَ رأسَهُ ، وقال :

اجلسْ يا أبا عُبيدةَ ، فسكَنَ رُوعي ، وجلستُ ، فرمَىٰ إليَّ رِقاعاً كانت بين يديْهِ ، وقال : اقرأْ هذه..

فقرأتُ جميعَها ، فإذا رِقاعُ أصحابِ الشُّرطِ في الأرباع ، يخبره كلُّ واحدٍ منهم بخبرِ يومِه ، وما جرىٰ في عملهِ ، وفي جميعها ذَكَر كبساتٍ وقَعَتْ علىٰ نساءٍ وُجِدْنَ علىٰ فسادٍ ، من بناتِ

الوزراء والأمراء والأجلاءِ ، الذين بادوا ، أو ذهبَتْ مراتبهم ، ويستأذنون في أَمْرِهِنّ!

فقلتُ : قد وقفتُ علىٰ هذه الرّقاعِ ، فما يأمرني به الأميرُ أعزَّهُ اللهُ؟

فقال : ويحَكَ يا أبا عبيدةَ ، هؤلاء الناسُ الذين ورد ذِكْرُ حالِ بناتِهم ، كلهم كانوا أجلَّ مني أو مثلي ، وقد أفضىٰ بِهِمُ الدهرُ في حَرَمِهم ـ نسائهم ـ إلىٰ ما سمعتَ ، وقد وقعَ لي أن بناتي بعدي سيبلُغْنَ هذا المبلغَ...

لذلك جمعتُهنّ ، وهنّ خمسٌ في هذه الحجرة ، لأقتلَهُنَّ الساعةَ ، وأستريحَ ، ثم أدركتْني رِقّةُ البشريّةِ ، والخوفُ من الله تعالىٰ ، فأردتُ أن أشاوِرَكَ إمضاءَ الرأيِ ، أو شيء تشير به عليَّ فيهِنّ .

فقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنّ آباءَ هؤلاءِ النساءِ

اللواتي قرأتَ رِقاعَ أصحابِ الأخبارِ بما جرىٰ عليهِنّ ، أخطؤوا في تدبيرِهِنّ ، لأنهم خلَّفوا عليهنّ النِّعـمَ ، ولـم يحفظـوهـنّ بـالأزواجِ ، فخَلَـوْنَ بأنفسِهِنّ ، ونِعَمِهِنّ ، فَفَسَدْنَ ، ولو كانوا جعلوهنّ في أعْناقِ الأكْفاءِ ، ما جرىٰ منهنَّ هذا .

... والذي أرىٰ أن تستدعي فلاناً القائدَ ، فله خمسةُ بنينَ ، كلُّهم جميلُ الوجْهِ ، حَسَنُ اللباسِ ، فَتُزوِّج كلَّ واحدةٍ من بناتِكَ ، واحداً منهم ، فتُكفىٰ العارَ والنارَ ، وتكون قد أخذْتَ بأمرِ الله عز وجل ، الحزم ، ويراكَ الله تعالىٰ قد أردتَ طاعتَهُ في حِفْظِهِنّ ، فيحفظك فيهِنّ...

فقال : امضِ الساعةَ إليه ، فقرِّرْ معَهُ ما يكون لنا فيه المصلحةُ ، وافرُغْ لي معه مِنْ هذا الأمرِ...

قال : فمَضيتُ إلىٰ الرجلِ ، وقررّتُ الأمرَ معَهُ ، وأخذتُ الفِتيانَ وأباهم ، وجئتُ إلىٰ دارِ إسحاقَ بنِ

إبراهيم ، وعقدتُ النِّكاحَ لهم ، علىٰ بناتِ إسحاقَ في خطبةٍ واحدة..

وجعل إسحاقُ بين يدي كلِّ واحدٍ منهم ، خمسةَ آلافِ دينارٍ عَيْناً ـ نقداً ـ وشيئاً كثيراً من الطِّيْبِ ، وَالثياب ، وحمل كلاً منهم علىٰ فرسٍ بمركَبٍ ذهبٍ...

وأعطاني كلُّ واحدٍ من الأزواج مالاً مما دَفع إليه ، وأمر لي إسحاق بخمسمئة دينار ، وخِلْعَةٍ ، وطِيبٍ...

وأنفذَ إليَّ أمهاتُ البناتِ هدايا وأموالاً جليلةً... ، وشكَرْنَني على تخليصِ بناتِهِنّ من القتلِ ، وانقلبتْ تلكَ الغُمَّةُ فَرَحاً...

وعدتُ إلىٰ داري ، ومعي ما قيمتُه ثلاثةُ آلافِ دينارٍ ، بل أكثر..!!!

* * *

لا تقْنطوا... لا تيْأسوا!!!

في مسندِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبل هذه الحكايةُ الهادفة :

عن ضَمْضَمِ بن جَوْس اليمامي ، قال :

دخلتُ مسجدَ الرسولِ ﷺ في طلبِ صاحبٍ لي ، فإذا رجلٌ أَدْعَجُ العين[1] ، برّاقُ الثنايا[2] ، فقال لي :

يا يمامي! لا تقولَنَّ لأحدٍ : واللهِ لا يغفرُ اللهُ لكَ ، ولا يُدخلُكَ الجنةَ؟

قال : قلتُ : مَنْ أنتَ يرحمُكَ اللهُ؟

---

(١) أي : شدّة سواد العين مع سعتها .

(٢) أي : أسنانه ناصعة من شدّة البياض .

قال : أنا أبو هريرة .

قال : قلتُ : قد نَهيتَني عن شيءٍ كنتُ أقولُهُ إذا غضبتُ علىٰ أهلِ بيتي وحَشَمي..!

قال : فلا تفعلْ ، فإني سمعتُ الرسولَ ﷺ يقول :

« كان رجلانِ في بني إسرائيلَ ، فكان أحدُهما به زَهْوٌ[1] ، والآخرُ عابداً ، فكان لا يزالُ يقول له : ألا تكُفُّ؟ ألا تُقْصِرُ؟

فيقول : مالكَ ولي ، دَعْني وربّي..

قال : فهجَم عليه[2] يوماً ، فإذا هو علىٰ كبيرةٍ ـ ذنبٍ عظيمٍ ـ... ، فقال : واللهِ لا يغفرُ اللهُ لك ، واللهِ لا يُدخِلُكَ اللهُ الجنةَ!!

فبعثَ اللهُ إليهما مَلَكاً ، فقبضَ أرواحَهُما... ،

---

(١) أي : الفخر والتكبّر .

(٢) أي : دخلَ عليه فجأةً .

فلمّا قَدِمَ بهما علىٰ اللهِ عز وجل ، قال للمذنبِ : « ادخُل الجنّةَ برحْمتي » .

وقال للعابدِ : « حَظَرتَ علىٰ عبدي رحمتي ، أَوَ كُنتَ قادراً علىٰ ما تحتَ يديَّ؟ انطلقوا به إلىٰ النارِ » .

قال رسولُ الله ﷺ :

« والذي نَفْسِي بيدِه ، لقد تكلّمَ بكلمةٍ أوْبقَتْ ـ أهلكَتْ ـ دُنياه ، وآخرته... » .

* * *

ما رأيُكَ بأخي؟!

قال (طاووس) رحمه اللهُ تعالىٰ :

بينا أنا بمكةَ المكرمةِ ، إذْ دُفعتُ إلىٰ (الحجّاجِ بنِ يوسُفَ الثقفيّ) ، فلما دخلتُ عليه ، ثنَى لي وِساداً ، فجلستُ .

فبينا نحن نتحدثُ إذْ سمعْتُ صوتَ أعرابيٍّ في الوادي رافعاً صوتَه بالتَّلبية .

فقال (الحجّاج) : عليَّ بالملبّي ، فأتي به ، فقال له : مَنِ الرجلُ؟

قال : من أَفْناء الناس[1] .

---

(١) أي : من أخلاط الناس .

فقال : ليس عنِ هذا سألتُكَ!

قال الأعرابي : فعمَّ سألتَني؟

فقال : مِن أيِّ البلدانِ أنت؟

قال : من أهلِ اليمن .

فقال الحجّاج : فكيفَ خَلَّفْتَ أخي محمدَ بنِ يوسف؟

قال : خلّفتُه عظيماً ، جسيماً ، خرّاجاً ولاجاً[1]!!

فقال : ليس عن هذا سألتُك!

قال : فعمَّ سألتَني؟

فقال : كيف خَلَّفْتَ سيرتَهُ في الناسِ؟

قال : خَلّفْتُه ظَلوماً غَشوماً عاصياً للخالقِ ، مُطيعاً للمخلوق!

---

(١) أي : عظيم الاحتيال .

... فغضب (الحجّاج) من الأعرابي ، وقال له : ما أَقْدَمَكَ علىٰ هذا ، وأنتَ تعلمُ مكانَته منّي؟

فقال له الأعرابي : أفتراهُ بمكانةٍ منكَ أعزَّ مني بمكانتي من اللهِ تبارك وتعالىٰ؟ وأنا وافِدُ بيتِه ، وقاضي دينهِ ، ومصدِّقُ نبيِّه ﷺ...

... فسكتَ (الحجّاج) ولم يُحرْ له جواباً[1] ... ، حتىٰ خرج الأعرابي بلا إذْن!!

* * *

(١) أي لم يردَّ عليه بجواب .

أتعجَّبُ!!

خرج (الأعمش) يوماً وهو يضحكُ ، فقال لأصحابِه : أتدرونَ ممَّ أَضْحكُ؟

قالوا : لا .

قال : إني كنتُ قاعداً في بيتي ، فجعلتْ ابنَتي تَنْظرُ في وجهي ، فقلتُ : يا بنيّةُ ما تنظرينَ في وجهي؟

قالت : أتعجَّبُ من رضا أمّي بِكَ!!!

* * *

أما تستحي؟!

سُئلَ (الشَّعبي) عن مسألةٍ ، فقال : لا عِلْمَ لي بها .

فقيل له : أما تستحي أن تقولَ لا أعلمُ ، وأنتَ فقيهُ العراق؟

قال : ولمَ أستحي ممّا لمْ يَسْتَحِ منه الملائكةُ حين قالت : ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[1] .

* * *

(١) سورة البقرة : /٣٢/ .